تاريخ الجزائر الحديث 1519-1830
السداسي: الثالث
ماستر 2
اسم الوحدة: العلاقات الجزائرية الأوربية 2

أ.د. عبد القادر فكاير

4-علاقات الجزائر مع الدويلات الألمانية

نبذة عن الدويلات الألمانية مابين القرن 9- 19

كانت المناطق التي تشكل اليوم مسرح ألمانيا الهجرات واسعة من قبل شعوب وقبائل مختلفة في الفترة التي أعقبت سقوط الدولة الرومانية عام 476م . وقد اصطلح على تسمية سكان هذه المناطق الواقعة في وسط أوروبا بالقبائل الجرمانية. ولم تتوحد المناطق المذكورة في ظل سلطة واحدة إلا مع قيام مملكة الفرنج نهاية القرن الثامن بقيادة الملك كارل الكبير (شارلمان) (814 - 748). مؤسس مملكة الفرنج في مطلع القرن التاسع الميلادي. وبعد وفاته تم تقسيم دولته إلى مملكة الفرنج الغربية التي انبثقت عنها فرنسا لاحقا ، ومملكة الفرنج االشرقية التي سميت بالإمبراطورية الرومانية المقدسة، وفيما بعد بمملكة الألمان، وكانت تضم كذلك أراضي النمسا وسويسرا وشمال إيطاليا وبوهيميا وهنغاريا. انقسمت هذه الإمبراطورية في العصور الوسطى إلى العديد من المدن والدويلات المستقلة ، وفي الوقت نفسه شهدت صراعات بين الأسر الحاكمة والسلطة الدينية والمتمثلة في البابوية ما انعكس على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وقد أدت هذه الأوضاع إلى ظهور حركة الإصلاح الديني التي انبثق عنها المذهب البروتستانتي ، فتحول 80 بالمائة من الألمان إلى المذهب الجديد. وقد أدى ذلك إلى اندلاع حرب الثلاثين عاما (1618-1848) دفعت الأراضي الألمانية ثمنا باهضا جراء المعارك التي جرى معظمها عليها. وانتهت الحرب بعقد صلح ويستفاليا ، الذي رسخ تقسيم المملكة الألمانية إلى قرابة 360 دولة صغيرة ودوقية أو مدينة أو إمارة كنسية لكل منها رايتها، ما جعل الوضع يتميز بازدواجية السلطة بين الحكم المركزي ممثلا في الامبراطور ، وبين الأمراء الطامحين في الاستقلال. وتفاقم الصراع الحاد على الهيمنة في ألمانيا بين أسرة هونزولرن البروتستانتية في بروسيا وأسرة الهابسبورغ الكاثوليكية في النمسا، ما جعلهما يفشلان في التصدي لسياسة نابوليون بونبرت في التوسع على حسابهما في مطلع القرن التاسع عشر. ترتب عن حروب نابوليون في أوربا أربعة نتائج تتعلق بالمناطق الألمانية هي:

1- سقوط الإمبراطورية الرومانية المقدسة عام 1908 وإحلال اتحاد الراين (Rheinbund) للدويلات الألمانية الغربية محلها تحت حماية امبراطور فرنسا باستثناء بروسيا والنمسا، وكان لهذا الاتحاد مجلسا يدعى دايتا (Diet) الذي يشرف على الإدارة المشتركة .

2- تقليص عدد الدويلات الألمانية إلى 38 دويلة ما ساعد على بدء بلور شعور قومي وتحوله إلى ثورة كراهية ضد الفرنسيين الغرباء في المناطق الألمانية الشرقية والشمالية بعد عام 1813.

3- تحكم بروسيا والنمسا بقرارات الكونفدرالية الألمانية "البوند" التي تأسست سنة 1815 .

4- حدوث نتائج اقتصادية وخيمة على الدويلات الألمانية تزامنت مع الأزمة الزراعية والمجاعة عامي 1816-1817، وإغراق المنتجات الصناعية الانكليزية الأسواق الألمانية.

أهم دولة ألمانية أبرمت معها الجزائر معهادة (هامبورغ):

تأسست المدينة الحرة و مدينة الهانزا هامبورغ سنة 811م تحت اسم هامابورغ ومنذ القرن 12 وعبورا بالقرون الوسطى تطورت المدينة وأصبحت هامبورغ من الأعضاء الأوائل لأقوى اتحاد تجارى وهو ما يعرف باتحاد الهانزا . في عام 1321 أصبحت هامبورغ عضو في اتحاد الهانزا و في عام 1618 أصبحت إحدى مدن الامبراطورية الألمانية الحرة .كانت هامبورغ مهددة باستمرار من قبل الجيران الأقوياء من قبل مملكة الدنمارك ، ومع ذلك تمكنت من الاحتفاظ باستقلالها بسبب التحصينات الرائعة حولها والاستخدام الماهر الاتصالات الدبلوماسية مع القوى الأخرى ، لا سيما هولندا وبريطانيا العظمى وفرنسا.علاوة على ذلك ، على الرغم من العديد من عمليات الحظر والصراعات المسلحة ، فقد تمكنت من الازدهار بطريقتها الخاصة على مر القرون من 1520 إلى 1800. كانت الجغرافيا بالتأكيد السبب الرئيسي لذلك. زاد ارتباط المدينة بالبحر بقوة من قابليتها للدفاع وكان بمثابة شريان حياة أساسي. ومع ذلك كانت هامبورغ وهي دولة مدينة جمهورية في شمال ألمانيا ، بحاجة إلى مجيء وذهاب دائم للسفن التجارية المحملة تحت أي علم (ولكن يفضل أن يكون تحت علمها) ، طورت هامبورغ روابط شحن وتجارية قوية مع المحيط الأطلسي أيبيريا ووسعت نطاقها في تسعينيات القرن التاسع عشر حتى في البحر الأبيض المتوسط. كانت هذه الوجهات هي الفروع الأكثر ربحية للشحن في هامبورغ في الجزء الأفضل من العصر الحديث المبكر. حدثت مئات المواجهات العنيفة في البحر بين أطقم من هامبورغ والجزائر على مر القرون، وقد تم استعباد ما يصل إلى 5000 بحار من سفن هامبورغ على أرض شمال إفريقيا في أوائل العصر الحديث.

معاهدة الجزائر مع هامبورغ في 22 فيفري1751:

كانت الدول الأوربية كلما تضايقت من دفع الإتاوات والضرائب والهدايا المفروضة عليها من إيالة الجزائر ، كانت تنظم حملات ضد الجزائر منفردة أو مشتركة. وكان هذا الشأن ينطبق على هامبورغ وتوسكانا اللتات طالبتا بالسلم وتمكنتا من الحصول عليه بفضل الهدايا، لكنه لم يدم طويلا. حيث استأنف البحارة الجزائريون نشاطهم في البحر المتوسط والتعرض لسفن هذه الدول. وكانت إمارة هامبورغ تدفع الإتاوة في شكل أدوات حرب وتموينات بحرية وهدايا أخرى. وفي الأخير وقعت المعاهدة في عهد الداي محمد بكير باشا (1754-1748).

عقدت معاهدة سلم دائمة بين إيالة الجوائر ودولة مدينة هامبورغ بتاريخ 26 ربيع الأول 1164هـ/22 فيفري 1751م. تتكون من 22 بندا وفيما يلي بعض بنودها:

البند 1: في هذه السنة من عام 1164هـ الموافق لعام 1751م، تم الاتفاق على إقرار سلم متين راسخ ودائم بين شيوخ جمهورية هامبورغ وكل الرعايا الذين هم تحت سلطتها من جهة، والأمجد محمد باشا والديوان الموقر لمدينة ومملكة الجزائر وآغا الجزائر نائبه وكل المليشيا المنصورة وجميع رعايا مملكة الجزائر من جهة أخرى بحيث أنه منذ الآن وفي المستقبل لن يحدث أي عداء بين الأمتين.

البند 2: إن سفن هامبورغ كبيرة كانت أم صغيرة ، وكل التابعين لهذه الجمهورية يستطيعون الارتياد وبكل حرية حسب التقاليد المرعية بين الدول الصديقة إلى ميناء الدول الصديقة إلى ميناء مدينة الجزائر والموانئ الأخرى التابعة لها , والسلع التي يتم إنزالها بها، لن يستخلص عنها سوى 5 من المائة من قيمة السلعة. رسوما جمركية مثل التي تستخلص من التجار الانكليز والهولنديين. وإذا ما رغبت في إعادة شحن السلع التي يتم بيعها ، فإنه لن يستخلص عنها أي رسم ، كما لن تعطل في سفرها في أي من هذه الموانئ . وفيما يخص السلع المحظورة مثل البارود والكبريت والألواح والخشبية وكل أنواع الأخشاب الأخرى الصالحة لبناء السفن والحبال والقار والقطران وأدوات الحرب وكل الأشياء الأخرى، فإن مسؤولو مملكة الجزائر لن يطالبوا بأي رسم عليها.

البند 18: جعل الله هذا السلم متينا ودائما، ولكن في حالة حدوث ظروف تؤدي إلى القطيعة أو إلى الحرب فإن قنصل هامبورغ الذي يقيم في مدينة الجزائر، وكذلك رعايا هذه الجمهورية المقيمين في هذه المملكة يستطيعون البقاء في أمان تحت حماية النية الحسنة، سواء في حالة السلم أو الحرب. وإذا ما رغبوا في الانسحاب والخروج من البلاد فلهم الحرية في ذلك، فلن يوقفوا ولن تحجز ممتلكاتهم وأمتعتهم، وكذلك خدامهم حتى ولو يوجد من بينهم من هو من مواليد الجزائر.

البند 22: إذا وقعت بعض الحوادث الخاصة ، أدت إلى انتهاك ترتيبات هذه المعاهدة فإنه لن يستخلص منها نتائج من شأنها زعزعة السلم الذي يبقى متينا وراسخا ، وهذه الحالات لن تضر أبدا بالصداقة التي يجب أن تستمر وتكون دائمة. فعلى الأشخاص المتضررين من

هذه التجاوزات الاكتفاء فقط بالمطالبة بالتعويضات اللائمة عن الأضرار التي لحقت بهم ، ومعاقبة المتسببين في ذلك ، لآن نيتنا خالصة وكلمتنا لا رجوع فيها.

اضطرت هامبورغ إلى إلغاء المعاهدة بضغط من إسبانيا. وهذا ما جعل العلاقات الجزائرية الألمانية بما فيها هامبورغ لا تسير على ما يرام . لذلك كانت دول ألمانيا مثل جميع الدول الأوربية، كانت ممن ظلت تناور لعقد معاهدات وأحلاف ضد الجزائر ،وكان آخرها تدخل البارون فون هومبولدت في ديسمبر 1817 في برلمان فرانكفورت قد طالب أوربا بعقد حلف عام ضد الدول المغاربية ، منها الجزائر.

هذه صور لميدالية فضية 1751 أصدرتها هامبورغ تخليدا لمعاهدة السلام بين هامبورغ والجزائر.